الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1094 2022/5/10

ملف العدد

الدراما في موسمها الرمضاني

أول الكلام

ملهاة الدراما ...

▪ ديب علي حسن

إذا كانت الدراما ملهاة أو مأساة وما بينهما ..فهل يمكن أن نسمي الكل ببعض من أجزائه ونقول لقد غدت الدراما ملهاة بمعناها السلبي لا الإبداعي الحقيقي من حيث الجوهر..

الدراما صناعة ثقافية عمودها الفقري المال نعم المال أن تصرف عليها بسخاء على النص والإخراج وما بينهما لابد من ذلك حتى تصل إلى الناتج الذي تريده ..

لابد من إتقان الصناعة هذه بكل مكوناتها ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل بقيت هذه الصناعة متقنة ..؟ .

لايمكن التعميم فكما بكل ألوان وصنوف السلع ثمة ما هو تجاري في الاقتصاد والثقافة والإبداع فالدراما لا تخرج عن هذه الدائرة بل ربما تكون أكثر السلع تجارة هذا ليس اتهاماً بل واقع نراه ونلمسه وقد تورطت الدراما بما يسمى السلعة حسب الطلب والطلب مدفوع ..

غدت الكثير من ألوانها تجارة تبحث عن مستهلك وليس أي مستهلك إنما صاحب المحفظة التي تدفع أكثر..

هذا الانزياح إلى سطوة المال جر الموبقات إليها وأوقعها في شباك الاستهلاكي فلم تقف عند حدود ما ..غدا حصاد المال الغاية والهدف حتى على حساب الوطني.

وفي الموسم الدرامي الأخير الذي شاهدنا بعضه لم يكن النتاج خارج إطار العرض والطلب ولكنه طلب من يدفع ..وربما على مبدأ ادفع كما أريد أنتج لك ما تشتهي ولا يهم ما بقي المهم ما في المحفظة.

وبكل الأحوال السمة الغالبة اليوم على الكثير من ألوان الإبداع رواية شعراً موسيقا مسرحاً تشكيلاً هي التسليع والحجج حاضرة أنه كما يدعون التجديد أو هكذا يتطلب إيقاع العصر السريع ناسين متناسين أن هذا الإيقاع الاستهلاكي أو ما يأكل صانعيه ويحولهم إلى مجرد ثرثرة سريعة لا تقوى على البقاء بوجه هبة صغيرة وهي في سلم الإنتاج مجرد هشيم عابر تأكله نيران اليومي.

ماراتون درامي

الخروج من عنق الزجاجة

الحب في زمن الحرب

عندما ينام الشهداء

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
دمشـــق ص.ب ٢٤٤٨
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

معرض

المرأة خصب وإبداع

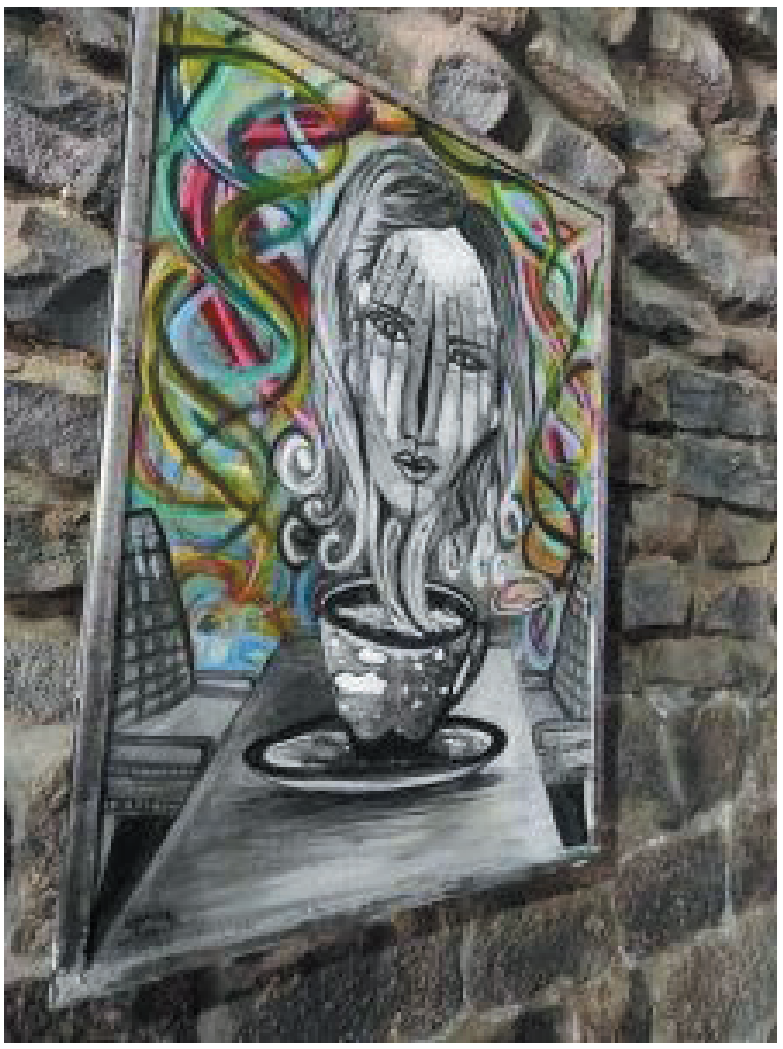

المرأة وما يتعلق بكينونتها وهويتها الخاصة والرموز المعبرة عنها هي الحاضر الأول في أعمال الفنانات التشكيليات في سورية والوطن العربي والفنانة سمر دروبي واحدة منهن، حيث سعت من خلال لوحاتها إلى تجسيد المرأة في صور مختلفة من الواقع.

سمر التي تحاول بشكل مستمر أن تجعل الأمل ينبثق من جزء كبير من لوحاتها تتحدث في حوار مع سانا الثقافية عن بداياتها مع الفن التشكيلي الذي أحبته منذ صغرها، حيث انطلقت موهبتها في المدرسة ثم صقلتها بدراسة الفن في معهد إعداد المدرسين بدمشق لتكمل طريقها كمدرسة لمادة الفنون في مدرسة الشهيد عبد الحميد الزهراوي بحمص كما تعمل حالياً على تدريب الطلاب الموهوبين بالرسم والنحت.

واشتغلت سمر على تدريب عدد من الطلاب الصم والبكم من خلال إقامة دورات نحت وزخرفة ورسم لهم حيث تجد أن الفن يساعدها في التعبير عما يجول بداخلها من مشاعر وتجارب وأحداث عبر أشكال متعددة تبرز هواجسها وأفكارها مستخدمة الأسلوب التعبيري والتجريدي الذي يمنح الفنان مساحة للتفكير باللوحة من وجهة نظرها.

وعندما تبدأ سمر العمل على لوحتها تكون عبارة عن فكرة تكتبها على شكل خاطرة أو قصة قصيرة ثم تترجمها عبر الرسم والتدرج بالألوان ودمج الحار والبارد منها معاً.

شاركت سمر دروبي في العديد من المعارض التابعة لوزارة التربية ووزارة الثقافة في حمص ودمشق وحماة وكانت آخر مشاركة لها في معرض سورية بتجمعنا ٣ في ثقافي حمص إضافة إلى المعرض الذي نظمه الملتقى الثقافي بحمص القديمة.

عروض

عرض راقص

أحيت فرقة غابالا للمسرح الراقص عرضاً فنياً على خشبة مسرح المركز الثقافي في مدينة جبلة بعنوان "تلاقي".

عفاف عبدالله مؤلفة ومخرجة ومؤسس فرقة غابالا بينت في تصريح لها قالت: إن الفرقة التي تتألف من ٣٠ راقصاً وراقصة طرحت من خلال فكرة تلاقي أنواع الرقص المختلفة الشرقي والشعبي والمعاصر والفلكلور والتراث المتنوع في سورية من الساحل والمنطقة الجنوبية والمنطقة الشرقية بالإضافة إلى تقديم عروض من التراث القديم في الهند وإسبانيا.

وأشارت العبد الله إلى أن الفن سفير حضاري وثقافي وفكري يقدم فكراً متنوراً يظهر للمشاهدين كيف أن الإنسان منذ القدم اعتمد على رسالة الفن ونقلها لمن جاء بعده مشيراً إلى أن الفن السوري يحمل رسالة المحبة والأمل لكل الناس.

وأوضح محمد عثمان مصمم ومدرب في غابالا أن الفرقة قدمت ١٠ لوحات راقصة تلاقت وتمازجت فيها الثقافات والحضارات المتنوعة في سورية وجسدتها على خشبة المسرح في صور و لوحات فنية راقصة ملونة تعكس جمالية وتنوع المكونات السورية القائمة على الحب والخير بهدف إعادة الابتسامة إلى وجوه الناس.

يذكر أن غابالا هو الاسم الهلنستي القديم لمدينة جبلة وتأسست الفرقة عام ٢٠١٤ ولها العديد من الأعمال المسرحية الراقصة مثل سورية يا حبيبتي والعرس وأبناء الحياة وروح الشرق وبلد الشمس.

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

دلال ابراهيم
رياض طبرة
سلام الفاضل
سلمى حداد
شهناز فاكوش
فاتن دعبول
فؤاد مسعد
فوزي الشنيور
منير خلف
مها محمد
نبوغ أسعد
نبيل نوفل

ماراتون درامي

فاتن أحمد دعبول

تعددت عناوين ما قدم في الموسم الرمضاني الحالي بين الاجتماعي والكوميدي والتاريخي وأعمال البيئة الشامية، وكعادتهم يحاول صناع الدراما أن يمارسوا طقوس الماراتون الدرامي في الموسم الرمضاني وكأنه، بات قانوناً شرعياً يجب أن يلتزموا فيه في كل عام، مع تجاهل الشهور الأحد عشر من العام، رغم صيحات الكثير من النقاد ومناشدتهم المعنيين بالشأن الدرامي أن تتوزع الأعمال على مدار السنة كاملة، ليتسنى للجمهور المشاهد متابعة الأعمال بهدوء دون التشتت في أكثر من عمل، وخصوصاً أن الممثل السوري نجده يتربع على عرش البطولة في أكثر من عمل، حتى لتكاد تضيع بوصلة المشاهد وتختلط عليه الأمور.

واليوم وبعد انتهاء موسم رمضان للعام ٢٠٢٢ نجول مع المشاهد عبر تقييم مرحلي لما قدم من أعمال حاولت أن تكون لسان حال المجتمع في كثير من نصوصها، كما حاولت طرح الكثير من القضايا وفي الآن نفسه نجد أن عنصر الجريمة في المسلسلات قد ارتفع، ولا أدري هل يحاول صناع الدراما تمثل الأفلام الهوليودية ظناً منهم أن قد تثير المشاهد، وتكون عامل جذب للمشاهد، متناسين أن هذا المشاهد ليس بحاجة إلى المزيد من العنف بعد تجربته القاسية والمريرة في ظل حرب كادت تودي بما تبقى من روحه المطمئنة، وقد أتخمت مشاهد العنف والجريمة والقتل تفاصيل حياته جميعها، فهل نفقأ جراحه التي لما تندمل بعد بمزيد من مشاهد العنف والقتل والدم، أم نذهب به إلى بر الأمان.

وبتوقيت الكهرباء ومنصات» نتفليكس» استطاع المشاهد متابعة بعض الأعمال التي كانت حاضرة على مواقع التواصل الاجتماعي عبر تعليقات التشجيع والتحفيز تارة، ونشر بعض المقاطع المشوقة تارة أخرى، لتحتل لديه الأولوية في المشاهدة على مبدأ العدوى بالمشاهدة» ومن هنا تبدأ عملية وضع النقاط على الحروف، وكل يدلو بدلوه وكأنه الناقد الحصيف المتخصص في شؤون الدراما وعلومها.

ونحن هنا يمكن أن نعطي المشاهد الحق في إبداء رأيه لأنه هو المعني أولاً وأخيراً بالعروض، ولكن هل حقاً يضعه صناع الدراما في مكانته الصحيحة عندما يحضرون لوائدهم الرمضانية، أم إن رأس المال هو سيد الموقف وهو من يتحرك وفق قضية العرض والطلب والربح، وليس ما يطلبه الجمهور؟

وفي عودة إلى موسمنا الدرامي الحالي وعبر استطلاع العديد من آراء المشاهدين مما تسنى لهم متابعة بعض الأعمال، نجد تفاوت الآراء وربما تناقضها، فمنهم من أبدى إعجابه بجرأة الطرح.

وتوقف البعض عند المبالغة في رفاهية البيوت واللباس والسيارات التي تؤكد حجم الفساد الذي يسود البلاد، ما يشكل اتساعاً آخر للفارق الطبقي بين أبناء الشعب الواحد، رغم اعترافنا أن الفوارق لاشك هي سنة الحياة، ولكن في مرحلة صعبة كالتي نعيشها يتردد السؤال البدهي» من أين لك هذا».

ولا يمكن تجاهل تلك الصور المشوهة وهذه الأشكال المحنطة للعديد من الممثلات التي تركت عمليات التجميل وقعها السلبي على ملامحهم التي بدت وكأنها وجوه من شمع، لا حياة فيها ولا تعبيرات حقيقية، فكيف تكون قريبة من المشاهد وهي لا تملك القدرة على التعبير عن المشاعر، لا لشيء إلا لأن مبضع الجراح استطاع أن يمحو معالمها لتصبح صورة مستنسخة لوجه آخر لا يمت لنا بصلة.

وبالطبع نحن وقبل كل شيء نثمن عاليا الجهود التي تبذل من أجل إعلاء شأن الدراما السورية ونهوضها ضمن المتاح من الإمكانات والتقنيات المتواضعة، ومحاولة وضعها على سلم المنافسة مع الدراما العربية، وخصوصاً أننا نملك أهم المقومات لصناعة الدراما وهو الممثل الضليع والمتمكن والاحترافي بجدارة، بشهادة الكثير من النقاد والمنابر الثقافية والمهرجانات التي كانت شاهداً حياً على تفوقه وحصوله على أهم الجوائز في غير مهرجان ومنصة عربية وعالمية.

وهذا التميز يضع الممثل على أعتاب المسؤولية ليكون لسان حال أبناء جلدته، يعبر عن قضاياهم، آمالهم، آلامهم، ويعكس ما يدور في المجتمع من سلبيات ويكرس القيم والإيجابيات، فلطالما كانت الدراما من أهم المنابر التوعوية والثقافية، لأنها في متناول اليد، وتحل ضيفاً محبباً على البيوت جميعها.

ولا يمكن هنا تجاهل بعض الأعمال التي استطاعت أن تعيد للأسرة هيبتها وتماسكها، من خلال تعزيز مفهوم دور الأب الموجه والداعم الدائم لأبنائه، ودور الأم في أن تكون سيدة الموقف، وليست المرأة المهمشة المغلوبة على أمرها، بل هي القادرة على لم شمل العائلة في غير ظرف عائلي، سواء وجد الأب أم في غيابه، ما يؤكد أهمية أن نعيد إحياء هذه القيم التي حاولت بعض أعمال البيئة الشامية تهميشها وصورتها امرأة لا كيان لها ولا شأن ولا دور يسجل لها.

ولكن ما أثار حفيظة البعض أحد الأعمال الذي تحدث عن مرحلة تاريخية، مرحلة الاحتلال الفرنسي من خلال راقصة حاولت أن تبني علاقات كثيرة مع بعض المتنفذين في تلك المرحلة، وكانت تدعي لنفسها دوراً إيجابياً في محاولة منها لمحاربة الاستعمار الفرنسي، وأن تجعل لهذا الفن» الرقص» قيمته الفنية ومكانته في المجتمع، فقد أنكر المشاهد تسفيه وتشويه عمل الثوار الحقيقيين الذي ما بخلوا في تضحياتهم من أجل دحر المستعمر وطرده من سورية بقوة السلاح والبطولة والإيمان بحق الشعب بالحرية، وليس بمواقف المجون والاستهتار على يد نساء يبحثن عن الشهرة والمال وكسب قلوب الرجال.

ومهما قيل عن الدراما، ما لها وما عليها، فقد استطاعت أن تفسح لها مكانة مرموقة في الساحة العربية، وتنافس على المراكز الأولى، واستطاعت أيضاً أن تكون مرآة للمجتمع بكل ما يحمله من تناقضات الحب والكره، القوة والضعف، الغنى والفقر، الفساد والنقاء، فهي تشكل وقبل كل شيء نمطاً حياتياً يحاكي الواقع تارة، وبعض شطحات الخيال تارة أخرى، وفي أحيان كثيرة دموع وابتسامات وآمال بأن القادم هو الأفضل.

وكل موسم درامي والفن السوري بخير وبلدنا بألف خير.

الدراما السورية ..الخروج من عنق الزجاجة

فؤاد مسعد

مـرّت الـدرامـا الـتـلـفـزيـونـيـة الـسـوريـة بـالـكـثـيـر من التحديات القاسية (ولاتزال) ، ولكنّها استمرت وقاومت مختلف العوامل التي اجتمعت لتفريغها من كلّ مقومات نجاحها ، بقيت لوحدها تصدّ أشدّ العواصف وأشرسها وتواجه مختلف أنواع المصاعب وأعنفها ، ورغم المراهنات على سحب البساط من تحت أقدامها خلال الحرب التي شنت على سورية إلا أنها استطاعت إثبات حضورها ولم تُسقطها كلّ الهزات القوية التي تعرضت لها ، هذه الدرامـا التي انطلقت عجلة إنتاجها منذ ستينيات القرن الماضي مع انطلاق التلفزيون العربي السوري بجهد حقيقي من المبدعين الأوائل الذين عملوا بتفان وحبّ وإخلاص سعياً إلى إرساء أسس متينة تقوم عليها ، ورغم الصعوبات التي واجهتها خلال مسيرتها إلا أنها استمرت وتطوّرت وشُيّد بنيانها الشاهق حجرة فوق أخرى ، هذا الجهد والتعب الذي تمّ بذله على مرّ العديد من الأجيال شكّل أرضية صلبة لرحلة زاخرة بالعطاء ، وباتت بفعل التراكم تاريخ يضرب بجذوره عمق الأرض ، أنجز فيها منذ أيام الأسود والأبيض أعمال دخلت عمق الوجدان الجمعي ، وفيما بعد أعمال شكّلت مفاصل هامة عبر مسيرتها ، مثل هذه الدراما لا يمكن أن تفرمل مسيرتها صعاب مهما كانت قاسية ومؤلمة كما لا يمكن أن تصبح من الماضي فالمستقبل لها ، ولا تزيدها التحديات التي تواجهها إلا ألقاً لأنها كالذهب الخالص الذي لا يُمتحن إلا بالنار .

استطاعت الدراما السورية أن تضيء شمعة مُعلنة إصرارها على الحياة ليشع نورها على الشاشات ،وبالمقارنة مع ما تمّ إنجازه خلال السنوات الماضية استطاعت تحقيق خطوة نحو الأمام وتفاعل هام مع الجمهور ، وبالتالي إضافة إلى قدرتها على الاستمرار استطاعت هذه المرة أن تخرج من عنق الزجاجة التي حاولوا حصرها فيه . ففي الموسم الدرامي الأخير طغى حضور الأعمال الاجتماعية المعاصرة على الساحة الإنتاجية رغم أن عدد ما أنجز منها لم يكن كبيراً لكنها حققت تلوناً وحالة مختلفة من المُتابعة ، وإن كانت واحدة من سمات ما تمّ عرضه في شهر رمضان المبارك التنوع ما عزز من مكانة الدراما السورية في عدم تقوقعها ضمن إطار معين إلا أنه غاب عنها العمل التاريخي والفنتازي والخيالي وأعمال السيرة الذاتية وتلك الموجهة للأطفال واليافعة ، ولكن هذا لا يلغي السعي إلى التجديد وبدا ذلك واضحاً من خلال طرق باب الأعمال الشعبية الاستعراضية عبر مسلسل (جوقة عزيزة) إخراج تامر اسحاق وتأليق خلدون قتلان الذي تناقضت حوله الآراء والمواقف .

أبـرز الأعمال الاجتماعية المعاصرة طرحت موضوع الفساد بأوجهه المتعددة ، بعضها لامس هذا المحور إلى جانب انتصاره لمحاور أخرى كحال مسلسل (على قيد الحب) إخراج باسم السلكا وتأليف فادي قوشقجي الذي قدم دراما اجتماعية عائلية تعيد الدفء للمسلسل الدرامي ، وبعضها غاص في موضوع الفساد وتناوله من أوجه عدة كما في مسلسل (مع وقف التنفيذ) إخراج سيف سبيعي وتأليف علي وجيه ويامن الحجلي ، وهناك من حملت تفاصيله قضايا اجتماعية مختلفة حيث طرح مسلسل (كسر عضم) إخراج رشا شربتجي وتأليف علي معين صالح العديد من القضايا . ويُضاف إلى ذلك كله عرض عمل بوليسي (لو بعد حين) إخراج عمار تميم وتأليف فهد مرعي ، وأعمال أخرى ذات حلقات قليلة .

وجاءت الكوميديا خجولة إلى أبعد حدّ وعلى الرغم من حضورها عبر ثلاثة أعمال وهو عدد مقبول من ناحية (الكم) إلا أنها لم تستطع أن تحفر لنفسها مكاناً متقدّماً على الخارطة يليق مع سمعة ومكانة ما سبق تقديمه عبرها في سنوات ماضية ، حتى أن (بقعة ضوء) بكلّ ما يحمل من تاريخ عبر أجزائه السابقة (وخاصة الأولى) لم يحقق الجزء الخامس عشر بإطاره العام ذلك الحضور المُنتظر فغابت عنه الدهشة وجاءت بعض الموضوعات فيه مكررة ، ولم تسعفه الدماء الجديدة من المخرجين الشباب الذين تولوا عملية إخراج لوحاته وإن كان هناك حالة من التمايز يمكن التقاطها بين نتاج كلّ مخرج على حدة ، وهناك مسلسلات كوميدية أخرى ربما لم تسعفها آلية وتوقيت عرضها لتحقق حالة متقدّمة من المُشاهدة كحال (الفرسان الثلاث) إخراج علي المؤذن وتأليف محمود الجعفوري ، ومن الأعمال الكوميدية أيضاً عرض (حوازيق) إخراج رشاد كوكش وتأليف زياد ساري .

أما فيما يتعلق بالمسلسلات التي تدور أحداثها ضمن البيئة الشامية فعادة ما يكون لها مكانة خاصة في شهر رمضان ، ولكن هذه المكانة أخذت في السنوات الأخيرة بالتراجع رويداً رويداً، ما انجر على الموسم الأخير أيضاً رغم أن أربعة أعمال قدّمت تحت عنوانها وكان هناك تفاوت واضح فيما بينها ، وهي : (حارة القبة) إخراج رشا شربتجي وتأليف الكاتب أسامة كوكش ، (الكندوش ٢) إخراج سمير حسين وتأليف حسام تحسين بك ، (بروكار ٢) إخراج محمد زهير رجب وتأليف سمير هزيم ، (باب الحارة ١٢) إخراج محمد زهير رجب وتأليف مروان قاووق . وبقيت أغلب الموضوعات المطروحة خلالها تدور ضمن إطار حكايات الجدات وسط أجواء تحمل خصوصيتها على صعيدي الشكل والمضمون ، وإن كان هناك من حاول التمايز من خلال ذكر مجموعة من الأحداث التاريخية المعروفة إلا أن ذلك لم يكن بمنقذ وبقي ضمن إطار المحاولات الخجولة للخروج من القمقم .

تراوحت الخيارات الإبداعية المقدّمة في الموسم الدرامي الأخير بين الجيد والأقل جودة وقلة منها جاء بلا أي أثر ، في حين استطاعت أعمال أن تُنافس بقوة مستقطبة اهتمام الجمهور وأن تكون قريبة من ألمه ووجعه وهمومه . ما يشي أن الدراما السورية الجيدة (بضاعة لا تكسد) فهي تمتلك عناصر قوة حقيقية تؤهلها لتعود وتحتل المراكز المتقدمة بين الأعمال الدرامية العربية ، فيليق بها أن تكون الرقم الصعب كعادتها في السابق ، ولكن لتحقيق ذلك هي بحاجة إلى انطلاقة جديدة تنفض عنها ما علق بها من شوائب لتعود كما كانت وأقوى ، متسلحة بإرادة وطاقات وامكانيات مؤمنة بقدرتها على النهوض من جديد .

عينٌ على الدراما الرمضانية ٢٠٢٢

سلام الفاضل

هل كان الموسم الدرامي الرمضاني هذا العام بأعماله التي اختُتمت بعرض حلقاتها الأخيرة مؤخراً مرضياً لتطلعات الجماهير؟

بهذا السؤال قد نفتتح مقالنا هذا الذي نقدم فيه قراءة سريعة نجول فيها على أعمال درامية عرضتها قنوات التلفزة فقدم بعضها وجبات دسمة من الدراما المُتقنة، والحرفية العالية في الأداء، والإخراج، والنصوص، في حين أن بعضها الآخر كانت الحملات الإعلامية التي واكبت تصويره، وسبقت عرضه أكبر بكثير من حجم مضمونه الذي بدا حين عرضه واهياً، ومفرَّغاً من أي معنى، إلى جانب بعض الأعمال الأخرى التي مرت مرور الكرام، فلم تترك أثراً يُذكر، أو بصمة تُرى، ولم يأت أحدٌ على ذكرها سلباً، أم إيجاباً، وفي هذا كله كان الجمهور هو الحكم الفصل، بالتأكيد، الذي انتخب من هذه الأعمال، التي حاكت على تعددها، وتنوّع موضوعاتها، واختلاف شخوصها، أذواق المشاهدين على اختلاف مشاربهم، واهتماماتهم، ورغباتهم في الفرجة التلفزيونية.

ولا يخفى في هذا الصدد على متابع للأصداء الدرامية التي واكبت عرض هذه الأعمال منذ حلقاتها الأولى أن المزاج الشعبي، السوري خاصة، كان ميّالاً إلى متابعة الأعمال الاجتماعية، التي عُرضت جنباً إلى جنب مع الأعمال الكوميدية على قلتها هذا العام، وأعمال البيئة الشامية التي استمر بعضها في أجزاء ثانية، وعاشرة، وإلى ما لا نهاية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الجمهور قد بدأ يحنّ إلى تلك الأعمال التي تحاكي في قصصها واقعه، وتطلعاته، وتتناول أحداثها حكايات قد تحدث مع أي منا، في أي زمان، ومكان، في حين أن شخوصها تشبه شخوصاً حياتية ملموسة بانهزاماتها، وانكساراتها، وآلامها، وآمالها، وجنوحها نحو الحب، أو بحثها عن العمل، أو صِدَامَاتها، ومآلات أحلامها، بعيداً عن ثيمات ومفاهيم مُستقاة من بيئة شامية مبتدعة أَلِفها الجمهور حدّ الملل، وهي لم تُنسج يوماً بمنوال كتّابها إلا رغبةً منهم في تسويق أعمالهم على الفضائيات العربية التي لاقت مثل هذه الأعمال استحسانَ متابعيها، وهنا إذاً لا بد أن يعي كتّاب السيناريو هذا الأمر، فيعملوا، ولو قليلاً، على العودة إلى الأعمال الاجتماعية التي تخاطب في مضمونها الإنسان العادي اليومي، وتجاربه الحياتية، وخبراته الواقعية، فقد أثبت لنا جمهور هذا العام أنه في مزاج جيد ليرى نفسه في دراما تتحدث عنه.

كما يُحسب لدراما هذا العام أيضاً أنها كانت دراما شبابية بامتياز، بشّرت بولادة أسماء جديدة، وألقت على كاهل خريجين جدد من المعهد العالي للفنون المسرحية ثُقلاً درامياً لا يُستهان به، فكانوا أهلاً له، وظهروا جنباً إلى جنب مع أسماء نجوم كبار، فأبدعوا كأساتذتهم، وأثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك، أن الدراما السورية، وكعادتها دائما، لم تكن دراما النجم الأوحد الذي تدور في فلكه كل شخوص العمل الأخرى، وترتبط به، بل كانت دراما العمل الجماعي التي يكون فيها كل فنان نجماً في الدور المُسند إليه.

أما عن نهايات هذه الأعمال، ولا سيما الحلقات الأخيرة منها، فهي لم تشهد أي مفاجآت تُذكر بل كانت تسير في مساراتها الطبيعية، وفي هذا يقول الصحفي والناقد الفني الأستاذ نضال قوشحة: «شهدت الحلقات الأخيرة من بعض الأعمال الدرامية تسارعاً ملحوظاً في أحداثها، أفضى إلى ما يمكن تسميته بـ (النهايات المغلقة)، حيث يتوقع المشاهد مسار الحدث ونهايته، وتنال كل شخصية جزاء أعمالها سواء أكانت خيّرة، أم شريرة...». ويردف: «وعلى الرغم من تفضيلي في هذا الجانب النهايات المفتوحة، حيث تبقى النهايات غير حاسمة، غير أن ما لا يمكن إنكاره هنا أن النهايات المغلقة، هي النهايات المقبولة لدى السواد الأعظم من الجمهور الذين يتفاعلون معها، وخاصة فيما يتعلق بشخوص العمل ذات الطابع الشرير، وهذا ما يمكن إدراجه تحت مسمى (النمط المدرسي)، أي انتهاء العمل بعبرة، أو عظة واضحة، وقد لاحظنا هذا الأمر في معظم أعمال الموسم الرمضاني الماضي».

وعن الحشو الذي تعاني منه عادة بعض الأعمال الدرامية فقد أرجع قوشحة ذلك إلى القيد الذي يعاني منه بعض كتّاب السيناريو: «الذين يُضطرون إلى كتابة ٣٠ حلقة لأفكار قد لا تحتاج عادة إلى عدد الحلقات هذا، وذلك إرضاء لشركات الإنتاج، مما يدفع بعض الكتّاب أحياناً إلى ابتداع ما نسميه نحن بـ (الشخصيات الضعيفة) في النصوص لملء النص مما يوصل إلى الحشو، وبالتالي يُضعف العمل». وقد رأى في هذا الصدد: «إن المنصات الإلكترونية التي ظهرت في السنوات الثلاث الأخيرة، قد أزالت عن كاهل كتّاب السيناريو قيد الحلقات الثلاثين، لقبولها نظام العُشاريات، والسباعيات...» متوقعاً أن يكون لهذه المنصات شأنٌ في مستقبل الدراما السورية، والعربية كذلك.

إذاً يمكن القول ختاماً إن الموسم الدرامي الرمضاني كان هذا العام حافلاً بأعمال درامية عدة ترك بعضها أثراً بارزاً، وحفر لصنّاعه اسماً ناصعاً في دراما ٢٠٢٢، في حين أن البعض الآخر لم يكن على مستوى التوقعات، أو أنه مرّ دون ذكر، ولكن لا بد في هذه العجالة من شكر جميع من عمل، وبذل جهوداً كي تخرج الدراما السورية بهذه الحلة، وتعود إلى تبوء مكانها الأبرز الذي احتلته طوال أعوام ضمن الدرامات العربية، وكل عام وأنتم بخير.

وتر الكلام

خيانة الرائج...!

سعاد زاهر

راهناً..تغيرت الذائقة، اشتغل مصنعوها طويلاً كي نصل إلى ذائقة منمطة تتغذى سنوياً من الموسم الرمضاني، باعتباره وجبة رئيسية، ولكن دون أن تفرغ بقية السنة من وجبات سريعة، مطبوخة على نار هادئة تارة، وعاجلة تارة أخرى...ولا بأس بالكثير من نيران درامية، تطهى فوقها وجبات تمتلئ بالبهارات والفلفل الكاوي حتى دون ضرورة أو مبررات درامية، المهم أن يقبض على أنفاس المتلقي ولا يفلتها إلا مع انتهاء المسلسل وحينها الشركة مع صناعه بالتأكيد هم الرابحون.

ولكن ماذا ربح المشاهد...؟

ألا يبدو خائناً للرائج إن لم ينسجم معه، ألا يخرج من الدائرة المقربة لمعجبي هذا العمل أو ذاك، ويلفظ خارج الأركان الدرامية الدافئة التي تتلقف كل معجب بترحيب كبير، على موائد درامية تخلو من المعنى والاستدامة تصاغ نقاشات تهمش كل الخارجين عن قوانينها.

تلك الموائد المبهرة تأخذ الأولوية اليوم في عالمنا الدرامي، وإن كان شهر رمضان حديقتها الغناء، إلا أنها فيما بعد تتناثر طيلة العام، إعادة تلو الأخرى على القنوات لتحتل موقعاً مميزاً يحجز خصيصاً لها في أوقات الذروة.

هانت المهمة كثيراً على صناع الدراما، بعد كل هذه السنوات من تنميط الذائقة، وباتت القوالب الدرامية جاهزة، يكفي أن يسكب فيها الكتاب نصوصهم والمخرجين أشكالهم الفنية مع أداء فني أبسط حركة تعتبر مبتكرة.

قد تبدو الانطباعات والآراء التي تتوالد عبر مواقع التواصل ويتم تناقلها فيما بعد، مكون فردي لا جماعي، لكنها فعلياً، ككرة ثلج ما أن ينطق أحد المؤثرين رأيه حتى يعتمد، وليت تأثيره ينبع من كفاءته المعرفية لا من أحكامه الذاتية وقربه من موائدهم الدرامية...!

الاستثمار في العقول

نبيل فوزات نوفل

نعيش عصراً تتفجر فيه المعرفة وتتدفق دون انقطاع، ويشهد العالم تغيرات تكنولوجية متسارعة في مختلف جوانب الحياة، تستدعي ضرورة الاستثمار الأمثل لقدرات الإنسان وإمكانياته ، وقد أصبح العقل البشري هو الاستثمار الأول ، فأكبر الدول تطوراً هي التي تحسن عملية استثمار عقول أبنائها ، فالحاجة تزداد إلى من يستطيع أن يقدّم حلولاً جديدة لما نعانيه من مشكلات، وفكراً جديداً يساعد على تطوير الحياة ، ويبدو أن عصر التغيرات المتسارعة يفرض على المربين التعامل مع التربية والتعليم بوصفه عملية لا يحدها زمان أو مكان ، وتستمر مع الإنسان بوصفها حاجة وضرورة لتسهيل تكيفه مع المستجدات في بيئته ، ومن هنا تكتسب شعارات (تعليم الطالب كيف يفكر) و(كيف يتعلم) أهمية خاصة.

ويدل تاريخ المجتمعات البشرية وواقع الدول المتقدمة إن استثمار العقول من أعظم الاستثمارات على مستوى العالم،فقد انتبه الغرب والشرق لهذا الموضوع ،وأولوا جل اهتمامهم،وبذلوا الغالي والنفيس من الأموال والدراسات واستغلال المواهب.

إن معظم الجامعات العربية التي جاء تكوينها على صور هجينة لبعض جامعات العالم المتقدم، باتت اليوم رهينة انحسار واضح في سموها العلمي، ما أوصلها إلى مقام سبات يكاد يقارب صمت القبور ، بالإضافة إلى تدني الإنفاق على التعليم والبحث العلمي،كما أن مخرجات التعليم هي أبعد ما تكون عن احتياجات سوق العمل،وتتسم هذه المخرجات بالعشوائية،وغياب الكفاءة المهنية، كونها قائمة على التلقين الذي لا ينتج فرصاً في سوق لعمل ، هذا الواقع أدى إلى حدوث شرخ في شخصية الشاب العربي أدت لاغترابه ومغادرته لوطنه، نتيجة الاختراقات التي حدثت في المؤسسات التعليمية العربية والتي بدأنا نلمح ملامحها من خلال:

-اختلال النسق القيمي للشباب العربي، والتخلي عن القيم الإنسانية الأخلاقية، واهتزاز ولاء الشباب للوطن والأمة، وعدم الاكتراث بهموم ومشكلات المجتمع.

-اختلال مفاهيم الشباب لمعاني العمل والعلم ، والانبهار بالتقدم التقني والعلمي، والثقافي الأجنبي، وتزايد الإحساس بالاعتماد على الأجنبي.

-الاتجاه للتركيز على أهداف الفترة القصيرة، ومحاولة النجاح السريع، وزيادة وتعميق الميل الاستهلاكي واكتساب أنماط استهلاكية غير رشيدة، والتمسك بكلّ ما يأتي من الخارج دون تمحيص، وهذا ما أدى بالشخصية الشبابية العربية إلى انعزالها عن الواقع، والانكماش في دائرة السلبية وافتقاد الهوية.

-إدراك معظم الشباب أن الشهادة العلمية لم تعد مفتاح الوصول إلى وظيفة تضمن الدخل المنظم والكافي لحياة ميسورة نوعاً ما. وإذا حللنا ودرسنا الأسباب التي أدّت لهجرة الكفاءات يمكن أن نوجزها بالآتي:

انخفاض مستويات الأجور للكفاءات العالية ، وإبعاد وتهميش الخبرات والكفاءات والاختصاصين، وذلك نتيجة للقمع الإداري الذي يمارسه بعض البيروقراطيين بسبب تخوفهم من الخبرة، وهدفهم تحقيق مصالحهم الشخصية قبل مصلحة الوطن، وعدم الاهتمام بالبحث والدراسات العلمية التي تعتبر غذاءً للاختصاصين يدعوهم للعمل والاستقرار، ويفيد الوطن بتحسن أساليب العمل والإنتاج وتطويره ، وعدم توفر التسهيلات العلمية للبحث وغيرها. ويمكننا القول: إن هجرة الأدمغة العربية واحدة من أخطر المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها الدول العربية، خاصة إذا علمنا أن تكلفة تكوين الدماغ كما يرى الأخصائيون اليابانيون هي بحدود عشرة كيلو غرامات من الذهب، نعرف كم تخسر الأمة العربية سنوياً من المليارات فضلاً عن ما يمكن أن يقوموا به من دور في التنمية وتطويرها وهذا من أهم الأسباب التي تؤدي للاغتراب السلبي عند الشباب العربي .

نحو استراتيجية جديدة لاستثمار العقول

أمام هذا الواقع فنحن بحاجة إلى الخلاص من حالة المراهقة الفكرية،لأنها تعطل النضال الوطني،وتجمد طاقاته ، وتشكّل بصورة سافرة قدرة معادية للشعب والوطن،فبالعلم والمعرفة نستكشف الأبعاد الحقيقية للقيم النضالية الحياتية كالوطنية والكرامة والغيرية والشهادة ونعرف كيف نجسدها ونضعها في مكانها الصحيح ،وعلينا التمسك بناصية البحث العلمي وسبر أغواره وهو ما يمكننا من التقدم الذي ننشده إلى جانب التركيز العميق على التنفيذ الحازم لخطة التعليم المهني والفني وإعطاء الأولوية للجامعات والبحث العلمي الحقيقي، ورصد الإمكانيات المادية للباحثين .

إننا بحاجة إلى تطوير المناهج التربوية والتعليمية والابتعاد عن أساليب التلقين التي تسببت بثغرات خطيرة لا يمكن تلافيها،فتطوير المناهج التربوية بما يحقق التواصل بين ماضي سورية وحاضرها ويرسخ أهميتها ومكانتها،وأن تركز المناهج التربوية الجديدة على تعزيز الشعور بالمواطنة وروح الحوار والقبول بالآخر، وتكريس المناهج الوطنية والإضاءة على التنوع الذي تتميز به سورية باعتبارها قيمة وسمة لمجتمعها ،وتضمين المناهج التربوية مفاهيم جديدة ظهرت خلال الأزمة وعلى رأسها ترسيخ معاني البطولة،ومن القضايا الهامة التي يجب ترسيخها في مناهجنا التربوية هي:

الإحساس بالزمن وتقديره باعتباره ثروة عظيمة وأداة ذلك الوعي،والإرادة ،فعندما نستطيع ان نملأ الوقت بالعمل فسنجد الحياة أكثر غنى وبهجة، وهذا لا يعني أن لا وقت للراحة،بل يجب أن يكون للراحة وقتها المحدد والمعروف الذي نملؤه وللعمل وقته المحدد المعروف الذي يملؤه وألا نشابك بينهما.

وهذا يتطلب اتباع أسس جديدة في مجال التعليم العالي ،يأتي في مقدمتها:

-تعزيز مكارم الأخلاق من خلال وضع معايير قياس لمنهجية نشر ثقافة أخلاقية بين أفراد المجتمع.

-تنمية القدرات الطلابية وتوجيهها جهة الانتماء وخدمة المجتمع من النواحي الأخلاقية والتنموية .

-توحيد القيادة العامة للتعليم العالي وإعادة الهيكلة الإدارية والتقنية والفنية لتيسر تطبيق وسائل تطوير الجهاز الإداري والتعليمي عن طريق التحسين المستمر للوائح وأنظمة التعليم لتصل لمعايير دولية .

-تثقيف أعضاء الهيئة التدريسية وتدريبهم على استعمال الأساليب الفكرية في وضع المناهج الحديثة .

-استقطاب الخبراء للتدريب للطلاب والتدريب الأكاديمي على تصميم المناهج المبنية على الفكر الثقافي وتدريبهم على كيفية استخدام النواحي التقنية في التعليم.

- بناء قاعدة بيانات لخارطة انتشار هذه الكفاءات في العالم وتصنيفها والتواصل معها والاستفادة من خبراتها والعمل على عودتها للوطن أو الاستفادة من خبراتها ، وهي في بلد المهجر، وإشراكها في وضع تصورات وخطط ومناهج التطور والبحث العلمي والتكنولوجي المتقدم ،واجباً وطنياً وضرورة لتقدم عملية التنمية

-تدريب الأكاديميين على أحداث تقنيات التعليم ،وعلى كيفية استخدامها في طرق التدريس النظرية والعملية والبحث العلمي على السواء.

-إنشاء وحدات مراكز تقنية وفنية لمساعدة تطوير البحث العلمي .

-تدريب الجهاز الإداري على وسائل التقنيات الحديثة في المعاملات الإدارية.

-تدريب الأكاديميين وحثهم وتوجيههم لتنفيذ مشاريع بشرية تستغل الموارد الطبيعية للوصول للمعايير الدولية التي تعيش تميز البحث العلمي .

-تذويب الفجوة بين المؤسسات التعليمية والقطاع الاستثماري بالتمييز البحثي وتوفر الكوادر الفنية.

-إنشاء وحدات فكرية تربط رجال الأعمال والعلماء بهدف وضع آليات لاستغلال الموارد الطبيعية للاستثمار المستديم.

-وجود آلية لتشجيع الملكية الفكرية وضمان حمايتها ضد الانتهاكات ودعم الاستثمار الفكري من قبل الحكومة عن طريق التوعية البناءة وتعاون كل الجهات المعنية المتمثلة بالحكومة وأصحاب الصناعات والمجتمع نفسه،

وأولى المهام الملقاة على الحكومات والمفكرين ورجال العلم وصناع القرار أن يعطوا العقل والتفكير جلّ الاهتمام ويهتموا بالفكر والتفكير العقلاني والنقد الإبداعي،والتفكير الخلاق،واعتبارالاستثمار الفكري رأس مال الحاضر والمستقبل،أخذين بعين الاعتبار أن الاستثمار في التعليم يختلف عن الاستثمار في رأس المال المادي ،حيث لا تتحقق عوائده إلا على المدى البعيد،ولا يمكن قياس عائده بالمقياس ذاته لرأس المال المادي،ولا يمكن التحكم فيه بعامل الزمن ،كما لا يمكن التنبؤ بعوائده بدقة.والرؤيا المتقدمة للتعليم العالي هي التي تؤكد على التعليم المستدام،حيث هناك من طرح مفهوم الشجرة التعليمية الذي له بداية فقط،كما أنه مرن ومتنوع في تسلسله وليس له سقف محدد،فنهايته مفتوحة،تسمح بالامتداد والنمو مع تشعب ونمو المعارف والعلوم والفنون لذلك تعد مؤسسات التعليم العالي تعتبر قيمة حضارية فهي الأداة والقوة التي تحرك الأحداث وهي عنوان الشعوب و المصنع الذي يمد المجتمع بالقوى البشرية المحركة لكلّ مقدراته.

قوالب الفرح

شهناز صبحي فاكوش

عوالم الحياة وجوهها كثر تتأرجح بين الجيد والأجود، والسيىء والأسوأ في بعض الأحيان، لكنها لا تتحرى السوء والشر إلا أن كانت بذرة الخير نضبت رشيماتها من قلب الإنسان فأجدب وأمحل كأرض عز عنها الغيم فيبست وتشقق وجهها وسرى لقلبها معلناً الجفاف في مواسم الإزهار.

جميل أن يعتاد المرء زرع الابتسامة على محياه مع رشق أولى قطرات الماء على وجهه عند استيقاظه صباحاً، لتصبح إدماناً لا يفارق كفيه وشفتيه، تنعكس من مرآة صفائه على وجوه الآخرين.. تعبر معهم ساعات النهار حلوها ومرها، تلازمهم إلى مضاجعهم تستلهم أمل الغد.

يقابل المرء في صباحات أيامنا، شراسة كأنه سيدخل معركة مع بداية يومه.. لكن يمكن لتلك الابتسامة تفكيك قواها.. كأنها تهديه قالب فرح مزين بالحب.. مثل حلوى لم يتذوقها مشتاقها من زمن. ابتسامة تمنح الأمل مع إشراقة شمس الحياة، تشق له درب السعي نحو الحكمة والمعرفة.

الحياة إجازة عابرة بين موت سابق قَعَرَ حياتنا.. وموت آت لا محيص عنه.. فالراحلون أحبة، بتلات ورد في بستان الخلود.. لا نعرف متى يطلق قطار رحيلنا صافرته لنستقله، وهم مازالوا ينتظرون في محطة الاستقبال ليعانقونا.. فهل أفرغنا عقولنا من زخم ما فيها إرثاً للباقين بعدنا.

هل عبأنا مزودنا للحياة الأخرى حتى لا نحتاج أحداً.. فكلٌ يحتاج ما حمل وليس من فائض.. هل عشنا إنسانيتنا كما يجب وتقاسمناها مع الآخرين.. لنرى ما في مزودنا، كم كلمة جبرت خواطر المكسورين، كم لقمة أطعمت جائعين، كم ثوباً أهدينا لمهجّر ترك منزله مكرهاً بما يستر جسده.

الشمس تشرق كل يوم من خلف الجبال العالية، تمنحنا نوراً ودفئاً، تعلمنا كيف نستفيد منهما. أما من ارتدوا ثوب الرداءة والتصق تحت جلودهم، عقروا الشمس على مذبح الإنسانية، حتى صارت أسلوب حياتهم، وصار القبح ابناً شرعياً لهم، يقبع في زوايا حيواتنا، خائناً أو جاسوساً لصالحهم.

مع قسوة الأيام صدأ الصبر وانفضت ألوانه، صار هلامياً باهتاً، لم يبق منه إلا المرارة والعلقم وبقيت زواريب العمر مضمخة بأكف الدماء، كأنها منذورة لطرد العين.. تشتت ألوانها، إلا أنها في القلوب قانية الجراح، نُدبها تنز مثل غيمة عز عليها إسقاط طلها، لتترك تراب الأرض للريح.

لنرسم قوالب الفرح ابتسامةً على وجوهنا، ونزينها بالحب والمودة، فَنَئِدُ أضغاناً فرضتها علينا السنين العجاف، نفتح موائد التسامح، نقابل السوء بالخير، فتكون البسمة بعشر أمثالها، تهدى للجائع والمتشوق؛ من نسي رسمها. علّ الغيم يسقي العطاش. فينبت خيراً يشبع شحيح الروح.

عسى ألا يلهينا تكاثر الأزمات عن صوغ مواسم الفرح على وجوه الأطفال، من عضّت عليهم أنياب الحياة فازدادت أوصالهم ارتعاشاً، واصطكت أوراق عمرهم الغض، كأنهم يعبرون خريف أعمارهم فوق فجوة الزمن الطارئ.. فهلّا من أيد تتشابك لتخوض معهم معترك الحياة وتحميهم..

عندها يمكنهم تذوق نعمة حلاوة قوالب الفرح، المزينة بحب الحياة، التي تدعوهم لرسم الأمل في معالم قادمات أيامهم، حين تشتد سواعدهم.. فيصير العمل منارة أيامهم.. والأيام أعياد.

زاوية حادة..

وجع درامي..

غسان شمه

وجبة درامية دسمة شهدها الموسم الرمضاني المنصرم، تابع خلالها المشاهد السوري عدداً كبيراً من الأعمال التي تراوحت بين البيئي والاجتماعي والكوميدي.. وكان من اللافت الجدل الكبير الذي أثارته الأعمال الاجتماعية المعاصرة سواء في طريقة تناولها لبعض الأحداث أو الشخصيات أم في المقاربة الصادمة التي نقلت من خلالها صوراً ووقائع حظيت بكثير من الاهتمام والجدل على مستويات متعددة.

والغريب في الأمر مهاجمة البعض لهذه الأعمال باعتبارها تقدم صورة غير دقيقة للواقع، معتبرين لغة التعميم خطأ كبيراً.

من حيث المبدأ فإن لغة التعميم خطأ وليست مقبولة، لكن من الطبيعي أن تقدم الدراما نماذج من شخصيات للإشارة إلى مكمن الخطأ، والحديث بأننا لا نعاني من وجود هذا النموذج أو ذاك.

من نافل القول إن الصراع في العمل الفني أو الدرامي يحتاج إلى نماذج للتدليل على مقولاته وطروحاته الفكرية والنقدية، وليس من طبيعته التعميم إلا ما ندر، والغاية الأساسية الإشارة إلى مكمن الخطأ لمعالجته، ومشروعية الطرح تتأتى من الواقع نفسه.. ألا تتحدث وسائلنا الإعلامية عن الكثير من وقائع الفساد هنا وهناك؟ ألا نسمع عن قرارات الحجز على أموال هذا المسؤول أو ذاك؟ أليست الرشوة منتشرة في قطاعات متعددة من حياتنا اليومية؟ أليست الكثير من الوقائع معروفة للجميع؟

لذلك أليس من الطبيعي أن يحاول، من يمتلك القدرة، كشف مواطن هذا الخلل باعتبارنا جميعاً نتطلع بكثير من الأمل لصورة مختلفة وأكثر إشراقاً في تفاصيلها ؟

أليست الدراما من الوسائل الإعلامية والنقدية المعنية بهذا الشأن ويحق لها الخوض فيه؟

الحب في زمن الحرب
روسيا تهدي العالم النصر

مها محفوض محمد

تحتفي روسيا اليوم بالذكرى السابعة والسبعين للانتصار على النازية وقوى الشر التي على ما يبدو أنها تعود من جديد لتحاول اغتيال كل المعاني الإنسانية، لقد ضحى أبناء الاتحاد السوفييتي بأكثر من ٢٥ مليون إنسان من أجل الحرية والكرامة ومن أجل الإنسانية جمعاء، وهم اليوم يتابعون فعل التضحية على الرغم من تكالب قوى الشر عليهم، روسيا التي تعيد رسم خارطة العالم المتعدد الأقطاب، تحتفي بذكرى النصر، والرئيس بوتين يسجل لها مجداً، فمن المعروف أنه بالنسبة لكل روسي الحرب العالمية الثانية قبل كل شيء هي الحرب الوطنية الكبرى استطاع الجيش الأحمر في نهايتها أن يدحر النازية ويحرر العالم من خطرها.

هذه الحرب التي بدأت في ٢٢ حزيران ١٩٤١ واستمرت لأربع سنوات طويلة حتى ٩ أيار ١٩٤٥ تعتبر الأكثر دماراً وفتكاً في تاريخ البشرية حيث بلغ عدد ضحاياها ثمانين مليون شخص من جميع الأطراف المتحاربة.

الذكرى(السبعون لها) حين كتابة المقال - جاءت مختلفة عن الأعوام السابقة وكان الاحتفاء بها في روسيا مميزاً أوله في العرض العسكري، حيث أراد الرئيس بوتين أن يعيد إليه الكثير من نماذج العرض السوفييتي السابق كما ركز في خطابه غير كل مرة على دور الجيش والشعب السوفييتي في التضحية ضد النازية الدور الذي يتجاهله الغرب، ولم يقتصر الاحتفاء على الاستعراض العسكري هذا العام بل كان واسعاً ومنوعاً على الصعيدين الثقافي والفني.

فقد أطلقت مؤسسة RBTH الثقافية الإخبارية الروسية مشروع «حرب لم يعرف حجمها» يشتمل على الكثير من المواضيع والنشاطات التي تخص المناسبة أرادت من خلاله البحث في نتائج ومقاربات هذه الحرب على عالم اليوم، فكان هناك العديد من الإصدارات والمذكرات والأفلام الوثائقية وحفلات الموسيقا.

من الموضوعات المهمة التي تم طرحها موضوع الذاكرة البصرية الذي تم فيه عرض الكثير من الصور في تلك الحرب تحت عنوان: الصورة ضد النسيان حيث يتم التركيز على مصوري الحرب الذين بلغ عددهم حينذاك ٢٥٨ مصوراً استطاع العالم بفضلهم الاطلاع على مشاهد الحرب وأخبارها، اثنان منهم فقط ما زالا على قيد الحياة أحدهما بوريس سوكولوف ٩٥ عاماً - حينها - يعيش في روسيا تم تكريمه وتحدث إلى الصحافة كيف كان يدرس في المعهد العالي للتصوير السينمائي لكنه فور اندلاع الحرب التحق بالخطوط الأولى واستمر حتى نهاية الحرب وكان هو من غطى توقيع معاهدة استسلام ألمانيا وجلسة المحكمة الشهيرة في نورمبرغ، وقد حضر للتكريم بالأوسمة والميداليات التي يحملها مع بعض المحاربين القدامى الذين تم استقبالهم والاحتفاء بهم في مسرح بولشوي.

المصور الآخر الذي أعيد اسمه إلى الأذهان ايفغيني كالدي وهو من التقط صورة الجنود السوفييت وهم يرفعون العلم الأحمر فوق مبنى البرلمان الأوروبي (الرايشتاج) عام ١٩٤٥ وبعد سبعين عاماً ورحيل المصور جيء بالصحفي البريطاني نيك هولدز الذي عرفه عن قرب ليتحدث عنه قائلاً:

لقد كان أحد أكبر المصورين في الخطوط الأولى عرف برباطة الجأش ويوم التقط تلك الصورة الشهيرة التي عنونت النصر عاد خلال أيام إلى موسكو والمعركة لا تزال حامية ليخرج الصورة من لفائف مسوداته ويومها طلب من عمه الذي كان يعمل خياطاً أن يطبع الصورة على غطاء طاولة أحمر لأنها ستكون رمزاً كبيراً للنصر السوفييتي وفعلاً وبعد مدة وجيزة أصبحت الصورة الحاسمة في هزيمة النازية وقد نشرت قبل أيام من الاستسلام النهائي لألمانيا بعدها رقي ايفغيني إلى رتبة ملازم أول لمساهمته الكبيرة في رفع معنويات الجنود السوفييت، يقول الصحفي هولدز:

لكن ايفغيني قضى حياته بعد التقاعد فقيراً في ضواحي موسكو وكان يهدي الصور لزائريه دون قبول المال لقاء أتعابه واليوم تباع النسخ الأصلية من أعماله بآلاف الدولارات وقد تم عرض الكاميرا التي اشتراها عام ١٩٣٧ واستخدمها في التقاط صورة الرايشتاج الشهيرة للبيع أواخر عام٢٠١٤ في هونغ كونغ وبيعت بمبلغ ٢٢٠٠٠٠ دولار.

ولهذه المناسبة أيضاً ثم إصدار فيلم رسوم متحرك عنوانه «سقوط الرايخ» للرسامين البلجيكي ايف بلاتو والفرنسي أوليفييه وينبرغ هدف الفيلم تصحيح دور الجيش الأحمر في تحرير أوروبا: وبعد إنجاز البحث الوثائقي وتخطيط الرسوم عن سقوط الرايخ يقول ايف بلاتو: مع اقتراب الذكرى السبعين لهذا النصر أردنا لفت الانتباه إلى عدم الاعتماد على الأفلام التي تعرض على شاشاتنا الصغيرة بقصصها الملفقة التي تروي بطولات قوات الحلفاء التي هبطت في النورماندي لتحرير فرنسا فهنا لا نتحدث إلا عن الأميركيين.

ويتابع بلاتو حديثه تحت عنوان: «إرث سوفييتي منسي»: ما أريده اليوم الإلحاح على إعادة الصورة الصحيحة عن تحرير أوروبا لأنه وبحسب استطلاعات رأي أجريت في آذار الماضي على آلاف البريطانيين والفرنسيين والألمان فإن أغلبية الناس هنا تعتقد أن الأميركيين والبريطانيين هم من حرر أوروبا ودور الاتحاد السوفييتي هو دور ضعيف ففي فرنسا٦١٪ ومثلهم ٥٢٪ من الألمان من الذين سئلوا يعتبرون أن الدور الأساسي في عملية التحرير هو للأميركيين لذلك لا يجوز السكوت عن أهمية دور القوات السوفيتية، لقد شكلت معركة ستالينغراد منعطفاً حقيقياً في تلك الحرب ولو لم يقاوم السوفييت لكانت نتيجة الصراع مختلفة تماماً. نعم الجيش الروسي هو من بقر آلة الحرب الألمانية وهذا ما أقر به وينستون تشرشل لذلك فقد ركزنا في مقدمة الفيلم على دور الجيش السوفييتي على الجبهة الشرقية ومعركة الدبابات.

أيضاً يعلق أوليفييه وينبرغ الذي نفذ عملية تحبير الخرائط بالقول: لقد كانت قراءتنا للتاريخ حول الجبهة الشرقية قراءة خاطفة لم تتح لنا القراءة الحقيقية لتاريخ هذه المعركة لذلك نحن نركز في الفيلم على قوة وصلابة السوفييت وعلى المآثر التقنية لهم كقذائف ستالين (راجمات الصواريخ) وهدفنا تربوي لتعليم الأجيال الجديدة بحقائق التاريخ عن طريق الرسوم المتحركة، فمقاربة الموضوع بأسلوب اللعب أسهل من القراءة ويضيف أوليفييه: إنجاز هذه الرسوم واجب علينا لحفظ الذاكرة ولأن ما يحدث يجعلنا نلح على معرفة من أين أتينا وكيف قامت أوروبا الحالية فإذا استطعنا الإسهام في إدراك ذلك نكون قد ربحنا الرهان.

الحرب لم تمنع الحب

وتحت هذا العنوان صدرت مقالات كثيرة في هذه المناسبة عن قصص حب وزيجات تمت خلال الحرب حيث سجل مكتب الأحوال الشخصية عام ١٩٤١ في موسكو ٤٤٠٠٠ حالة زواج و٣٣٠٠٠ حالة في العام ١٩٤٤.

كما تم إخراج فيلم وثائقي أهدي إلى روح المقاوم الأسطوري نيكولاي فاسينين وهو جندي سوفييتي عاش إلى جانب شجاعته وبأسه قصة حب مدهشة فالجندي نيكولاي (١٩١٩-٢٠١٤) كان بين الأسرى الذين أرسلتهم القوات النازية إلى معسكرات الاعتقال في فرنسا وبعد عامين تمكن من الهرب والالتحاق بالمقاومة الفرنسية ضد النازية وأثناء تنفيذ إحدى العمليات جرح فاسينين جروحاً بليغة ونقل إلى نقطة إسعاف ليصحو بين يدي فتاة جميلة تعتني به وهي ابنة الكابتن جورج نونو المعروف وقتذاك فوقع بحبها وأحبته إلى حين عودته إلى روسيا وبعد تحرير فرنسا طلب يدها من والدها لكنه قوبل بالرفض فعاد إلى روسيا حزيناً وهناك تزوج وأنجب أولاداً غير أن حب تلك المرأة لم يغادر قلبه قط وبعد سبعين عاماً يقرر السفر إلى فرنسا والبحث عنها كان ذلك في العام ٢٠١٤ فذهب وتبين له أن حبيبته ماتت قبل أشهر من وصوله فعاد إلى روسيا حزيناً مرة أخرى ومات في كانون الأول ٢٠١٤ عن عمر ٩٥ عاماً. وقد تم إخراج الفيلم بدعم شعبي كبير أيضاً تم دعمه من شخصيات سياسية وشعبية منها وزير الخارجية الروسي شخصياً ويتم حالياً عرض الفيلم في صالات ثلاثين مدينة روسية.

كيف عاش والدا الرئيس بوتين الحرب؟

ولم يدع الرئيس فلاديمير بوتين المناسبة تمر دون أن يكتب لها شيئاً فكتب مقالاً لمجلة روسكي بيونييه (الرائد الروسي) عنوانه (الحياة مريرة بقدر ما هي بسيطة) يتحدث فيه عن مكابدة والديه أثناء الحرب فقد كان والده عاملاً في أحد مصانع لينينغراد وعندما اندلعت الحرب التحق بالجيش وخلال إحدى العمليات قتل جميع أفراد مجموعته لكنه استطاع الخروج حياً بعد أن قضى ساعات طويلة مختبئاً في مياه مستنقع وهو يتنفس عبر القصب إلى أن عبر الجنود الألمان بالقرب من المستنقع بعد ذلك تم نقله إلى نيفسكي بياتا تشوك وهو قطاع معارك محتدم بمحيط لينينغراد حيث صمدت القوات السوفييتية فيه لأشهر وسقط عشرات الآلاف من الضحايا وهناك جرح الوالد واستطاع جاره في المبنى سحبه إلى الطرف الآخر من النهر المتجمد ومن ثم إلى المشفى رغم كثافة الرصاص المنهمر وبعد أن أوصله إلى المشفى قال له جاره أنت ستعيش وأنا سأذهب لملاقاة الموت ويروي الرئيس بوتين أن والده كان يعطي حصته من طعام المشفى لوالدته التي كانت بدورها تأخذ الطعام إلى ابنها الوحيد وعندما علم الأطباء بذلك منعوها من الزيارة بعدها مات الولد أثناء حصار لينينغراد بمرض الدفتيريا ولم يعرف الوالدان أين دفن الصبي إلا بعد سنوات حين علموا أنه ووري الثرى في مقبرة بيسكاريو فسكوي المكان الذي دفن فيه آخر نصف مليون جندي ممن سقطوا في الدفاع عن المدينة مع المدنيين الذين ماتوا من الجوع أثناء الحصار، ويتابع الرئيس بوتين في مقاله كيف تم إنقاذ والدته بما يشبه المعجزة إذ لدى عودة والده من المشفى ودخوله مبنى سكنه وجد طواقم إسعاف تخرج جثثاً على النقالات فشاهد زوجته بين هذه الجثث وبدا له أنها تتنفس فطلب منهم أن يعيدوها إليه فأجابوا دون اكتراث بأنها لن تعيش وهنا هجم عليهم بعصا حملها معه من المشفى وأجبرهم على إعادتها إلى البيت ويختم الرئيس بوتين بالقول: وهكذا اعتنى أبي بأمي حتى تماثلت للشفاء وعاشت بعدها حتى عام ١٩٩٩ وأبي مات قبلها بعام.

جولة في كواليس رواية «البؤساء»

دلال ابراهيم

لا يمكن لأي رواية عالمية نالت شهرة وأرقام توزيع قياسية أن تنافس رواية البؤساء للشاعر والروائي الفرنسي فيكتور هوغو على عرشها ك (رواية صناعة) فمن مسرحية إلى فيلم ثم إلى فيلم غنائي وحتى مسلسل من إنتاج مؤسسة البي بي سي حتى بلغ عدد الأفلام التي اقتبستها السينما من البؤساء ٦١ فيلماً ..

بينما لا يزال إلى يومنا هذا يحتل الملصق الإعلاني الذي يصور الفتاة كوزيت للعرض المسرحي الغنائي الذي افتتح الستار عنه في لندن عام ١٩٨٥ مكاناً بارزاً على واجهة مسرح وسط المدينة .. وحضرهذا العرض المسرحي الغنائي ١٢٠ مليون متفرج في ٥٢ بلداً وحصد أكثر من مائة جائزة.. وثمة نجاح مماثل في عالم التكنولوجيا الرقمية ووسائط التواصل الاجتماعي .

فعندما غنت المغنية البريطانية سوزان بويل أغنية (أنا حلمت حلماً) في المسرحية تلك تابعها على موقع يوتيوب أكثر من ١١٤ مليون شخص .. وهذا يعني أننا حين نتحدث عن االبؤساء فإننا نتحدث عن كتاب لا يموت وفيلم لا يموت ومسرحية لا تموت . بمعنى عمل فني ابداعي متكامل شكل ظاهرة لا تموت . وبالتالي دجاجة بياضة للفن السابع. وعلى الرغم من النجاح الكوني الذي حققته البؤساء لا زال يدهشنا ما يتكشف لنا من خيوط أسرارها وألغازها إلى يومنا هذا.

والآن وفي أعقاب مرور ١٥٧ عاماً على صدورها تجول بنا مجلة اكسبريس الفرنسية في كواليس بدء تكوين هذا العمل البالغ الأهمية في الأدب الفرنسي . وتعود بنا إلى ما قبل ٣٠ آذار عام ١٨٦٠ تاريخ صدور الرواية لتميط اللثام عن الأسرار الكبيرة والصغيرة التي سبقت كتابة هذا العمل الضخم . ولادة الرواية من علاقة غير شرعية في الخامس من شهر تموز عام ١٨٤٥ طرق باب الشقة الواقعة في شارع سان روش، قرب ساحة الفاندوم مفوض شرطة باريس يرافقه زوج مخدوع يستشيط غضباً. وكانت تجمع تلك الشقة الروائي فيكتور هوغو وصديقته المحببة ليوني بيار وهما في حالة تلبس بجرم الخيانة.

وفي ذلك العصر لم يكن ثمة تهاون في مثل تلك القضايا، حيث تم إلقاء القبض على صديقة الروائي والحكم عليها بالسجن. أما هوغو صاحب قصيدة ارناني، وكان له من العمر حينها ٤٣ عاماً فقد استفاد من الحصانة التي يتمتع بها بوصفه من إقطاعيي فرنسا. وبالتالي نجا من عقوبة السجن ولكن ومن أجل الهروب من وصمة العار وتحاشي نظرات الاستهجان ضده، حبس نفسه وأغلق عليها في شقته الواقعة في ساحة رويال. وشرع في كتابة رواية بهدف قتل الوقت وملء أوقات فراغه، اطلق عليهاعنوان جان تريجان، والتي تحولت فيما بعد إلى البؤساء. ولم يكن في تصور هوغو لدى مباشرته في كتابة الرواية أي مخطط أو أي خطة محددة لها مسبقاً. حتى وإن كان هذا الأمر يصعب تصديقه نظراً للكم الهائل من السمات والملامح التي تميزت بها الرواية العملاقة والتي ضمتها بنسختها الفرنسية الأصلية ١٩٠٠ صفحة موزعة على ٣٦٥ فصلاً .

فضلاً عن تعقيدات سير أحداث العمل. حيث تغطي الأحداث فيها الفترة الممتدة ما بين عامي ١٧٩٤ - ١٨٣٣ وتتقاطع تلك الأحداث مع معركة واترلو وكذلك ثورات عام ١٨٣٢ إلى جانب التعاطي مع مئات الشخصيات، بحيث لا نجد مخطط لتلك الرواية سوى أربعة أسطر خطهم هوغو في أحد الزوايا يقول فيهم (حكاية قديس، حكاية رجل، حكاية امرأة، حكاية دمية) وهذا كل شيء عن البؤساء. وتوقف فيكتور هوغو عن كتابة مغامرات كوزيت وفانتين وجان فالجان إثر انشغاله واشتراكه في أحداث ثورة عام ١٨٤٨ والتي استمرت لمدة اثنا عشر عاماً.

وفي أعقاب نفيه خارج فرنسا كتب بطرك غيرنيسيه في العام ١٨٦٠ بالتحديد ملاحظة تقول (تم سحب البؤساء من الصندوق المخصص للمخطوطات) ونقرأ على المخطوطة المحفوظة الآن في المكتبة الوطنية في منتصف الفصل المعنون باسم (بوفارد، بافارد) ومؤرخة في شهر شباط عام ١٨٤٨ ما يلي (هنا، توقف اقطاعي فرنسا عن الكتابة، واستمر بالنفي) الطاولة الدوارة وما تلا ذلك كان بمثابة توجيه ضربة على كل العقلانية الهوغولية، حيث تم العثور على اسم البؤساء الذي أطلق على الرواية التي احتلت لها موقعاً كبيراً في الأدب على طاولة دوارة. كان من المعروف عن الروائي هوغو تعلقه بابنته ليوبولدين التي توفيت غرقاً في عام ١٨٤٣ وأملاً منه في التواصل والتحاور معها في العالم الآخر ضمن جلسات عائلية لجأ إلى عمل يقرنون فيه الأحرف الأبجدية بحسب ضربات رجل الطاولة الدوارة ولينتهي الأمر إلى تشكيل جملة . وعلى هذا الأساس أمرت الطاولة الدوارة فيكتور هوغو في ١٥ أيلول عام ١٨٥٣ (أيها الرجل العظيم، انهي البؤساء) وتفيض رواية البؤساء بتلميحات تخص حياة الروائي، إلى درجة أن البعض رأى فيها تقريباً سيرة ذاتية مقنعة تحت لبوس قصة مسلسلة واسعة. مثل تلميح مرمز لعشيقته جولييت درويه، وهنا نلتقي بممرات دير بتي بيكوس الذي تختبأ فيه كوزيت وجان فالجان بالآنسة درويه، أم الملائكة، كما وأن تاريخ زواج كوزيت من ماريوس (الشخصية التي اخذت الكثير من ملامح الروائي هوغو، بدءاً من اللقب الثاني، ماري) المصادف للسادس عشر من شهر شباط ١٨٣٣ يتوافق مع أول ليلة أمضاها (تورور) مع جولييت. وثمة الماح فيه جرأة أكبر أيضاً إلى ليوني بيار، والتي نراها بشكل غير متعمد في اصل الرواية وبدايتها عندما يخبىء جان فالجان كنزه في مطهرة مونفيرميه بدلاً من بلارو، وهو الاسم المستعار الذي كانت بيار توقع عليه اسمها لمقالات كانت تكتبها لمجلة (الأحداث).

وفي تلك الأثناء وبهدف حصول الرواية على أفضل المبيعات، كان لا بد لأحد الناشرين من الابحار في الباخرة إلى فرنسا. وهذا ما أقدم عليه الناشر البير لاكروا، والذي جاء للتفاوض مباشرة مع هوغو في غيرنيسيه، حيث سعى إلى مضاعفة المبلغ المقدم للروائي من قبل منافسيه. وعرض الناشر البلجيكي مبلغ ٢٤٠ ألف فرنك بلجيكي مقابل الحصول على حقوق الرواية. وهذا المبلغ يعادل أكثر من ٦٠٠ ألف يورو تُدفع لروايات عصرنا الحالي. ووقع هوغو على العقد.

وابتداءاً من هذا التاريخ لم يعد المنفي الفرنسي الأكثر شهرة يعاني من الضائقة المالية. ومع الحقوق التي ضمنتها له روايته استطاع ترميم وتجميل واجهة هوتفيل وهو منزله في غيرنيسيه، كما واستطاع بالمبلغ بناء حجرة (النظرة الشاملة) الشهيرة، وهي عبارة عن حجرة من الزجاج، جعلها هوغو غرفته للكتابة. كما ووفر له هذا المبلغ دفع مهر ابنته اديل (٥٠٠٠٠ فرنك) واستثمر باقي المبلغ في اسهم. الأمر الذي لم يخل من السخرية إذا ما فكرنا أن تلك الرواية قد بدت وكأنها تهمة كبيرة ضد مستغلي البؤس البشري. ولكي يؤمن الروائي هوغو نقل مخطوطته من البؤساء إلى مطابع بلدان القارة الأوروبية اقتنى من أجل هذه الغاية حقيبة ضد الماء، وهذا ما يشير إليه في أجندته.

إجراء احترازي غير مجد، نظراً لأن نقلها كان آمناً. ظهرت الطبعة

الأولى من الرواية بتاريخ ٣٠ آذار عام ١٨٦٢ في بروكسل عن دار نشر لاكروا وفيربوكهوفن (واعتبر هواة الكتب أن تلك الطبعة هي الأصلية) وظهرت طبعة البؤساء في باريس بتاريخ الثالث من نيسان من نفس العام لدى دار بانير، وبالتزامن انتشرت الرواية باللغة الفرنسية في العديد من العواصم منها لشبونة ولندن وموسكو وريو دي جانيرو، وفي أعقاب صدورها بخمسة عشر يوماً تمت قرصنة خمس طبعات منها، وبعد مرور خمسة أشهر على إصدارها ، وعلى الرغم من ارتفاع ثمنها، بيع منها ١٠٠٠٠٠ نسخة عبر العالم، وهو رقم كبير قياساً بذلك العصر. وفي اليوم المصادف لنشر الطبعة الثانية من الرواية، بتاريخ ١٥ آيار عام ١٨٦٢، ومنذ الساعة السادسة والنصف صباحاً، احتشدت أعداد ضخمة من باعة الكتب ووسطاء البيع والقراء والفضوليين أمام متجر الناشر بانير في شارع السين في مشهد أشبه بهياج شعبي. وخلقت العربات ذات العجلتين التي ازدحم بها الشارع أزمة سير خانقة. بحيث لا نرى شيئاً جديداً في الاستراتيجية التسويقية التي ابتدعها ناشر رواية هاري بوتر أو روايات دان براون خلال اطلاق الطبعات في منتصف الليل. أصداء الرواية والصدمة ولا يمكن الزعم أن الأدباء ممن عاصر الروائي هوغو قد استقبلوا روايته البؤساء بالترحاب.

حيث رأى الكاتب والشاعر فلوبير، من جانبه أن (هذا الكتاب قد جرى تأليفه من أجل حثالة الكاثوليكية- الاجتماعية) كما وأعربت الكاتبة جورج صاند عن أسفها لأن أسقف **Digne** والذي افتتحت الرواية لديه قد رحب بها وقدمها بحماس شديد .

أما الضربة الموجعة التي دام تأثيرها فترة طويلة فقد جاءت من الكاتب باربي دورفيلي الذي أدان الرواية وكل توجهات هوغو واستنكر بعض ما جاء في الرواية وزعم أنها (مقبلات لا لزوم لها أضيفت إلى العمل وانتهت إلى القضاء على فكرة الفائدة منه) وهذا الهجوم الشرس استهدف الفصل الخاص بمعركة واترلو والخطبة الطويلة (لطفل باريس) والوصف التفصيلي لدير بتي بيكوس . إدانة عملت جرحاً عند هوغو ولو أنه تظاهر بالعكس وقال كلمته الشهيرة رداً عليها (وهل يضير الرجال العمالقة مهاجمة الأقزام لهم ؟) الشاعر بودلير، كتب مقالة في الصحافة، حين صدورها يمتدحها ويصفها بأنها رواية مبنية على هيئة قصيدة. ولكن العجيب الغريب أنه راح يهجوها في رسالة وجهها إلى أمه قال لها « إنها تافهة، وقد مدحتها في الصحافة وأثبت أني قادر على الكذب ».

وأكثر تعليق مضحك عن البؤساء جاء من الناقد الأدبي ميشيليه الذي صرح بكل وضوح (لقد أصبت هذا العام بفاجعتين وفاة ابني وصدور رواية هوغو). والجدير ذكره أن من مفاعيل هذه الرواية الايجابي على عامة الشعب والمجتمع هو صدور قانون من قبل الحكومة الفرنسية في ذلك العصر ألغت بموجبه العقوبة التي كانت تفرضها على سارق الرغيف. بعدما لمست الظلم الذي لحق بسارق رغيف الخبز جان فالجان الذي أراد منه اسكات جوع ليس إلا !!! تماماً كما فعلت فيما بعد بأعوام طويلة حين ألغت عقوبة السجن المؤبد على السارق الذي تجاوزت تهماته في السرقة ١٦ تهمة كرمى لعين كاتبها العظيم جان جينيه، والذي وصل عدد تهمه إلى ١٦ تهمة في سرقة الكتب فقط. ولكنه جان جينيه!! أيعقل أن يُسجن الفكر ضمن أقفاص ؟.

بسام كوسا يقتحم عالم الرواية بـ (أكثر بكثير) ونظرية الفراغ

رياض طبرة

ستظل شخصية مبروك بطل رواية (أكثر بكثير) للفنان والأديب بسام كوسا راسخة في ذهن من تتوفر له فرصة قراءة هذه الرواية، وسيظل ينتظر الكثير من التفاصيل لعله يصل إلى إجابات واضحة حول هذه الشخصية أو تلك، أو الإحاطة بالعمل الإبداعي ككل وما يحمله من رسائل ومواقف وآراء بين السطور وفوقها وعلى جوانبها.

وليست شخصية مبروك وحدها من ستظل في الذاكرة بل أجزم أن شخصيات الرواية المحورية أو الأقل محورية تم رسمها بحرفية عالية ويمكن اعتبارها مؤشراً إلى امتلاك الكاتب أدواته الفنية.

هناك صاحب ورشة النول التي عمل فيها مبروك وكذلك الاستاذ عادل السعيد وكلاهما أصحاب نظرية الفراغ التي هي محرك الرواية وغايتها وربما غاية الغايات، على اختلاف التعبير عن ذلك بلغة تعكس مهنة كل منهما.

تقوم نظرية الفراغ على شرح وتفسير ما يجري في هذا العالم على الصعيدين الفردي، حيث يسعى كل منا إلى تحقيق فراغه، والجماعي حيث تسعى الدول والقوى والكتل البشرية إلى تحقيق فراغها...

وكل فراغ يعني إقصاء من حولنا لامتلاك مساحة تخصنا وحدنا، وبذلك نكون في النهاية كمن عاد إلى الفراغ أو العدمية التي تفسر كل شيء، وهذا حال السلطة.

هاجر الاستاذ عادل إلى الغرب وصاحب النول أصابه الملل وأراد أن يتخلى عن فراغه الذي عمل طوال حياته لانجازه لكنه في النهاية آثر الخلاص فتخلى ل مبروك عن الطاولة.

الطاولة هي الطموح الذي سعى لتحقيقه مبروك إذ لا كتابة إلا على طاولة وكرسي، وعندما أمسك أقلامه قلماً تلو الآخر لم يستطع كتابة حرف واحد أي أنه لم يتمكن من تحقيق فراغه وبذلك ظل مبروك كما كان يراه الاستاذ عادل بريئاً ونقياً.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل ظل مبروك بعيداً عن الفراغ ؟ وإن كان الجواب بالنفي فمتى تم ذلك ؟.

هل كانت زيارته لبرهان زوج سماح وراء تفتح عينيه على بهاء الفراغ؟.

أم أن استعداده للفراغ قائم في جيناته وهو من هو رداءة نسب وأمية ؟.

برهان اسم على مسمى للتدليل على نظرية الفراغ فهو رجل بسيط أمي جاهل يعمل في فرن كغيره من عباد الله الذين اضطرتهم ظروفهم القاهرة لتحمل حرارة الأفران يتزوج من سماح التي رفضها مبروك لأنه من جيل والدها، برهان لم ير غضاضة في الزواج من سماح لكنه أراد أن يوسع من دائرة فراغه بعدما خبر طعم السعادة باتساع الفراغ، لكنه لم يحافظ على سماح بل وضعها بين يدي مشعوذ دجال قتلها بالسم في أبشع عملية تدليس.

ماذا حل ببرهان فتح مكتباً عقارياً أي التحق باللاهثين وراء ملء الفراغ أو صناعة فراغهم، امتلك الكثير من المال بعدما انسلخ طبقياً عن البسطاء الذين كان منهم، ثم تحول إلى شريحة أعلى ترشح للانتخابات النيابية ورفعت صوره في الشوارع لم يتعرف مبروك

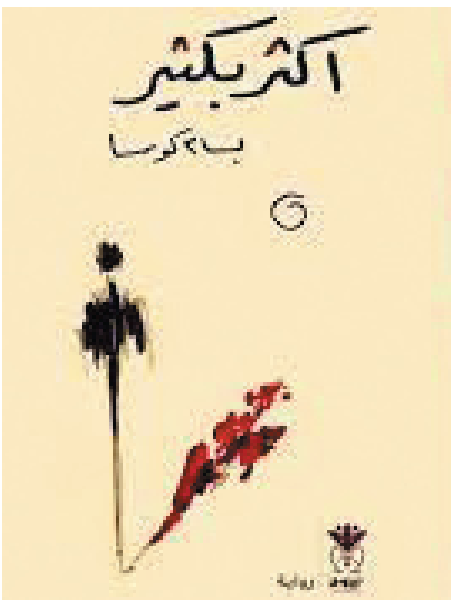

إليه ولم يصدق أنه هو ذلك الصديق.

بعدما خسر مبروك ثلاثة من أقرب المقربين إليه والذين شكلوا دائرة وعيه تمكن من الكتابة فما هي الجملة التي شكلت عنواناً ومقدمة وبيت القصيد؟ .

ألف عزلة في العام بل ... أكثر بكثير... هذا يعني أن الكاتب والسارد في تماه مع مائة عام من العزلة رائعة ماركيز، ولكن لماذا أخذ من تلك الرواية ما يتصل بالسيرة الذاتية واعتبر ذلك سرقة مشروعة تبعاً للقول المعروف السارق من السارق كالوارث من أبيه.

سؤال غير بريء : هل صحيح أن الكاتب لا يعرف معنى اسم مبروك ؟

وهل جاءت أسماء الشخوص كلها عفو الخاطر، عادل سماح برهان مبروك ؟

ملاحظات لا بد منها : لم ترتح نفسي لموت سماح

ملل صاحب النول وجه آخر لهجرة الاستاذ عادل

تمكن مبروك من الكتابة التعويض عن خيبة الأمل ببرهان الرواية ضربة معلم لتحريك المياه الراكدة في المشهد الروائي الاحتفاء بها في معارضتها أو الإقرار بما ذهبت إليه ربما يحقق الكثير من مقاصد الأدب .

مراثي الروح

نبوغ أسعد

الشاعر الراحل مروان الخاطر من القليلين جداً الذين تمسكوا بشرف العاطفة والانتماء وهموم الوطن ومواجهة التردي والهوان .. هذه السمات الوجدانية تحمل كثيراً من الحزن والألم والمعاناة النفسية لما تحمله روح الشاعر و التي جاءت في مجموعته الشعرية الأخيرة ..التي صدرت بعد رحيله لم تأت عن عبث وبعيدة عن التصنع والتزيف وحب الذات ،وما جاء فيها يأخذنا لنكتشف أن هذا الشاعر قرأ التراث الشعري والأدبي وعرف الأصالة العربية بمختلف ثقافاتها وهذه أمور تدل على أن سبب الاهتمام بها، هو امتلاك موهبة حقيقية وعفوية ..وإنني ما أكتبه ليس معرفة أولى بكتابات هذا الشاعر ولكنني تابعت كثيراً من كتاباته المنشورة وقرأتها بشغف وكتبت عنها، فهو الذي يشعر القارئ أنه يحمل همه ويلمس جرحه ..ويحاكي مواجعه الداخلية المشحونة بكل مشاعر الأسى وها هو مروان الخاطر يجسد كل الأوجاع من خلال وجعه الكبير، وهو يرثي أغلى ما عنده حتى فاضت روحه النبيلة ..فيقول لفلذة كبده ابنته إلهام : إلهام يا بنتي التي غيابها فوق احتمال الروح للغياب لا تحزني على رحيل دونما إياب تشبثي باللحد فالتراب أرحم من عالمنا المهين إياكي والحنين لهذه الحياة مامتي أنت نحن في حياتنا الموات في أحسن الحالات .. عندما يكون الشاعر مطبوعاً بموهبة فيها القدرات الحقيقية على التعاطي مع النص الذي يأخذه ليكتبه بقوة العاطفة نجد أن الطرح غير تقليدي وأن الموسيقا غير تقليدية وأن اللهفة تأتي بشغف عفوية الحضور واختيار المكان هكذا جاء النص .. وبرغم القدرة على الريادة في كتابة القصيدة وعلى رفع الجبين بسبب المواضيع التي تنتقيها النفس الشاعرة ..هناك ثوابت أكبر بكثير من الشعر والكتابة والأدب فهو يقر بها باصماً من خلال قوله : حين تختلط الرؤى : ما سوف أصنع بالقصائد ؟ هل ينام الشعر تحت سواعد الشهداء ؟ أم يمضي لمقبرة تشاد له وأن مجازر الشعراء .. قادمة مع السياح والوسطاء .. وعبر كل مكونات الشعر المعقدة يفرض خياله ونبض قلبه المتيم بعشق الوطن ومواجعه، ونتاج عقله فكم عدد الشعراء الذين ظلوا يقولون كقولك يا مروان .. ما سوف أصنع بالكتاب المدرسي إذا اشتكى وإذا بكى والدمع من عيني أجرته الصحيفة والإذاعة كيف أرسم للصغير .. خريطة الوطن الكبير.. إذا تساءل عن فلسطين التي في القلب كانت .. ولا يخفى على أحد أنه من أهم ما عرف به الشعر أنه من المفترض أن يكون في قمة المعرفة والشعور ..فالشاعر يدرك ما يهدد أمنه ووطنه وبلده ..يقول : ودعي المشايخ ينسجون عباءة التطبيع بين الطبع والتطبيع ما بين الذئاب وبين مسكنة القطيع .. فكيف تختلط الأمور .. لا تخرج أبداً نصوص المجموعة الباقية وبكاملها عن حركة الروح متمسكة بالوفاء الكبير إلى الوطن ولا يتراجع مستوى العاطفة والموسيقا في المجموعة التي نشرتها دار الفكر بعنوان مراثي الروح بعد رحيل الشاعر الكبير مروان الخاطر ..وهذا أيضاً انتماء آخر يجعلنا ننساق لما في باقي المجموعة من قصائد هيجت أشجاننا وأبكت مآقي العيون.

شاعر وقصيدة

محمود درويش: عندما يذهب الشهداء إلى النوم

عِنْدمَا يَذْهَبُ الشُّهَدَاءُ إِلَى النَّوْمِ أَصْحُو، وَأَحْرُسُهُمْ مِنْ هُوَاةِ الرِّثَاءْ

أَقُولُ لَهُم: تُصْبحُونَ عَلَى وَطَنٍ، مِنْ سَحَابٍ وَمِنْ شَجَرٍ، مِنْ سَرَابٍ وَمَاءْ

أُهَنِّئُهُم بِالسَّلامَةِ مِنْ حَادِثِ المُسْتَحِيلِ، وَمِنْ قِيمَةِ المَذْبَحِ الفَائِضَهْ

وَأَسْرِقُ وَقْتَاً لِكَيْ يسْرِقُوني مِنَ الوَقْتِ. هَلْ كُلُنَا شُهَدَاءْ؟

وَأَهْمسُ: يَا أَصْدِقَائِي اتْرُكُوا حَائِطاً وَاحداً، لحِبَالِ الغَسِيلِ، اتْرُكُوا لَيْلَةً لِلْغِنَاءْ

أُعَلِّقُ أَسْمَاءَكُمْ أَيْنَ شِئْتُمْ فَنَامُوا قلِيلاً، وَنَامُوا عَلَى سُلّم الكَرْمَة الحَامضَهْ

لأحْرُسَ أَحْلاَمَكُمْ مِنْ خَنَاجِرِ حُرّاسِكُم وانْقِلاَب الكِتَابِ عَلَى الأَنْبِيَاءْ

وَكُونُوا نَشِيدَ الذِي لاَ نَشِيدَ لهُ عِنْدمَا تَذْهَبُونَ إِلَى النّوم هَذَا المَسَاءْ

أَقُولُ لَكُم: تُصْبِحُونَ عَلَى وَطَنٍ حَمّلُوهُ عَلَى فَرَسٍ راكِضَهْ

وَأَهْمِسُ: يَا أَصْدِقَائِيَ لَنْ تُصْبِحُوا مِثْلَنَا... حَبْلَ مِشْنَقَةٍ غَامِضَهْ

سميح القاسم: الشهيد

خلو الشهيد مكفنا بثيابه — لاتغمضوا عينيه إن أشعة

خلوه في السفح الخبير بما به — حمراء مازالت على أهدابه

لاتدفنوه.. وفي شفاه جراحه — وعلى الصخور الصفر رجع ندائه

تدوي وصية حبه وعذابه — يا آبهاً بالموت لست بآبه

هل تسمعون؟دعوه نسراً دامياً — خذني الي بيتي، أُرح خدي على

بين الصخور يغيب عن أحبابه — عتباته.. وأبوس مقبض بابه

خلوه تحت الشمس تحضن وجهه — خذني إلى كرم أموت ملوعاً

ريح مطيبة بأرض شبابه — ما لم أكحِّل ناظري بترابه

لَنْ تَفْلُتَ مِنْ حزْنِكَ

فوزي الشنيور

يَحْمِلُهُ الْوَقْتُ الْمَنْذُورُ لِقَدْحِ شَرَارَتِه
يَأْتِيْ وعبَاءَتُهُ مِنْ خيْطَانِ اللَّيْلِ الْحَالِكِ
يَأْتِيْ مِنْ مَرَضٍ مَلْعُونٍ فِي الْخَوخِ
وَمِنْ مَجْمَرَةِ الأَشْوَاكِ الْمَسْلُوخَةِ عَنْ تُرْبَتِهَا
يَأْتِيْ مِنْ تُوتِ الرِّيْحِ وَزَنْبَقِهِ
مِنْ نَهْرٍ مَجْنُونٍ
مِنْ عَبَقٍ مَعْطُوبٍ
مِنْ أُخْوَةِ يُوسفَ
فَافْرَحْ كَيْفَ تُحِبُّ ؟
ولَكِنْ
إِيَّاكَ وَأَنْ تُسْرِفَ فِيْهِ
هُوَ الْحُزْنُ
وَإِنْ كَانَ بَعِيْداً عَنْكَ
سَيَأْتِيْكَ
فَكُنْ مِثْلِيْ
لا تَدْخُلْ فِي إِبْرِيْقِ الْحَذَرِ الأَزْرَقِ
لَنْ تَفْلُتَ مِنْ حُزْنِكَ
حَاوِلْ مَا شِئْتَ
وَمَهْمَا حَاوَلْتَ
سَيَنَالُكَ شَيْءٌ مِنْ بَلْطَتِهِ
فَإِذَا آتَاكَ
فَلا تَخْشَى اهُ
لا تُنْفِقْ صَبْرَكَ
وَامْشِ غَيْرَ مَشِيْئَتِهِ
وَإِذَا مَا أَيْقَنْتَ سَيُصْبِحُ رُبْعَكَ
خُذْ ضَحِكَاتٍ مِنْ عِنْدِ الْبَائِعِ
وَانْثُرْ بَيْنَ النَّاسِ بَنَفْسَجَهَا
سَتَرَى أَنَّهُمُ لَنْ يَنْتَبِهُوا لِنَزِيْفٍ يَخْرُجُ مِنْكَ
وَإِذَا مَا أَيْقَنْتَ سَيُصْبِحُ نِصْفَكَ
فَادْخُلْ غُرْفَتَكَ الْمَفْتُونَ بِهَا
وَامْنَعْ غَيْرَكَ يُبْصِرُ مَا فِيْهَا
وَاشْرَبْ مِنْ خَمْرِ الْكُتُبِ الْمَعْصُورَةِ
تَنْسَ نَارَكَ
أَوْ تُخْمِدْ جَمْرَتَهَا
وَإِذَا مَا أَيْقَنْتَ بِأَنَّهُ سَيُصْبِحُ كُلَّكَ
قُلْ لَهُ
إِنَّكَ لَنْ تَغْرَقَ فِيْهِ
لا بُدَّ سَتَأْتِيْ سُفُنٌ
وَتُعِيْدُ لَكَ الأَشْجَارْ

أعدني إلى اللحظة

سلمى حداد

إلى اللحظة التي أراكَ فيها شعاعاً من يقين
مائدة تضرب موعداً لكعك العيد
حرفاً يبذر قمحه لأبجديات الطمأنينة والسكون
أعدني إلى أنتَ
إلى ضحكة الهواء الطلق على شفتي الشمس
إلى متعة الرجوع، الرجوع إلى الخلف
إلى ملخص فصول العمر في كتب اللقاء،
إلى نحن أعدني وانتصر على الأنا والأنت.
أنا أنا...
وأنا بعضٌ من رشفة أنا،
غبارٌ يجلس على أشلاء طريقي أكثف حضوراً مني،
منفى يعيد تكويني في أصيص لا قعر له
على تخوم أضيف إليها خطواتي،
موعدٌ يضربه الخيالُ لظلي
فيكسر ساقي عند عتبات الجموح،
فنجانُ قهوةٍ يجلس معي
وفيّاً لشفتيّ
لنبل غموضي
لتفرّد مزاجي
لصخب أعماقي
لأنا...
أنا أنا...
وأنا بعضٌ من خروجٍ من أنا.
سلمى حداد من ديوان «أتجاذب معكَ أطراف الحريق»

ما يُشبِهُ إيقاعَ الكلمات

إلى الصديق الشاعر وليد حسين مضمّخاً بعراقة العراق وشعره العريق

منير خلف

في قلبي
تتلألأ أوقاتُ الإيقاع الأولى
فأواري عتْمَةَ من ينفثُ
في جلد الكَلِمَاتِ الكَدَماتْ.
في هذا البحرِ المتدارك
ما لا تقبَلُهُ التَفعيلاتُ الصُفْرُ
من الرؤيا المخبوءة في بئر الفكرة
تشردُ غزلانُ قصائدَ
لم يُتقَنْ معناها بعدُ
لكي تتدلّى
أعراسُ القُبَلِ المحفوفةِ بالذكرى،
سنظلّ نفسّرُ أسرارَ الماضي
ونعانقُ هاماتِ القادمِ
كي لا تفلتَ
من أيدينا اللحظاتْ.
سنظلّ
نمارسُ فرصتنا الخضراءَ
ونسكنُ في ليل البيت وبيت الليل
نُهدّئ في روع مآسينا الصبواتِ،
نُهيّئُ في أعيننا
غيماتٍ حُبلى
بحنينِ الأرض إلى الغيمات.
مرضى
من فرط الحبّ. صديقي.
لا نرضى ..
حتى تنبتَ في أيدينا
صورُ الأوراد المنحوتةُ فوق لآلئَ
من صوتِ الفجرِ
لكي يتعافى الصّمتُ المخنوقُ
بأعماقِ مآسينا
كي تسموَ
في أرض الشعرِ النخلاتْ.
سنمارسُ حبّاً
لم يولدْ بَعْدُ
ولم تخفقْ في صورته
كرمى صورته الألوانُ ولا النبضاتْ.
سنسيّرُ وجهةَ هذا القلب الأعمى
نحو بيادرَ
من ضوءٍ أزرقَ
كي تحميَنا الذكرى
من هولِ العثراتْ.
من هذي البئر
الملأى بصنوف الآهات،
من هذا المعنى
المترامي الأحزان
نشمّر صفصاف الخابور لدجلةَ
كي نطفئ
في صحو البيداءِ العتماتْ.
نبني
نسعى
نبكي
نحكي
نتناسى كلّ جراحاتِ التاريخِ
ونُعلي من شأن الكلماتْ.
تتهامَسُ أطرافُ الخوفِ
تمدُّ رسائلَنا آهاتِ
تُحيي ما فات من المعنى
وتهيل علينا الحَسَرَاتْ.
مَنْ منّا قد أدركَهُ
بعضُ الوقت ؟
وفاتَتْهُ الفضةُ
من ماءِ الدهشةِ
من منّا
قد ماتْ؟
مَنْ أحيا ذكرى الموتِ
بهذي الأرضِ
وأعلنَ مَوْتَ القُبلاتْ؟